الوسطية في الإسلام منهج حياة

الأستاذ : خميسي بزاز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن الغلو والتطرف من الأدواء الخطيرة التي أصيبت بها الأمة، ويعظم المصاب حين ينكر المريض أنه مصاب، أو عندما يخاطر بحمله للفيروس، ويعرض أعراض المرض على أنها علامات الصحة.

ولقد عجبت عندما قرأت مقال نشر في الإنترنت « يزعم فيه صاحبه أن الوسطية ليست من خصائص الإسلام ». [1]

يقول صاحبه: « شاع بين الخاصة والعامة مصطلح الوسطية والإسلام الوسطي، وفسروه بطريقة مخالفة للحقيقة بل أن بعضهم أنشأ أحزابا إسلامية تحمل ذات المفهوم، مما أدى إلى ترسيخه لدى الناس، لذا رأيت من الواجب إيضاح هذا اللبس الخطير في المعنى، لأن الأمة بدأت تنسى لغتها، وتفسرها برؤية الأعداء وحسب الأهواء، ويستدلون بالآية الكريمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ».[2]

ثم يرجع صاحب المقال إلى بعض المعاجم لينقل بعض معاني الوسطية التي حصرها في: الشرف والحسب، العدل، والخيار.

حتى يقول « ونخلص مما سبق إلى أن تلك الآيات الكريمة لا يجب استخدامها كدليل على وسطية الإسلام بالمعنى المقصود به – الاعتدال وعدم التطرف– فهي تتحدث عما يكون يوم القيامة ، ومكانة أمة الإسلام بين الأمم»، وينسب صاحب المقال ما توصل إليه إلى " ابن القيم ، وابن عبد الوهاب"!!

ونشرت الشرق الأوسط في عددها 9130 صفحة 15 مقالا يشير فيه الدكتور/ حمد محمد الدغش أستاذ أصول التربية الإسلامية المساعد بجامعة صنعاء في اليمن، إلى أن الوسطية كانت تصور لدى كثير من المشايخ على أنها ترمز إلى النقلت من الأحكام الشرعية، وتقدم الرأي المجرد على النص المحكم، وتسعى لتقديم الإسلام متوائما مع العصر ولو على حساب أحكام الإسلام، وقيمه الثابتة ولم يتراجع هؤلاء على مواقفهم – **حسبه** – إلا بعد أحداث 11 سبتمبر، وكذا أحداث الدار البيضاء والرياض الأولى والثانية.

وهكذا يرى هؤلاء أن القول بوسطية الإسلام هو مما أجبرت عليه الأمة بعد ضعفها، فهو مصطلح دخيل مصدره الغرب وقد نشأ المصطلح نتيجة الصراع الدموي بين الكنيسة والملوك التابعين لها من جهة، وبين المفكرين والفلاسفة الغربيين من جهة أخرى.

يقول الأستاذ ذهاني نسيرة:(3)

« والحديث على الوسطية الإسلامية بهذا الحماس ليس منفصلا عن الجهود الجارية في المجتمعات الإسلامية لتجديد الخطاب الديني، فهي مثلها مثل علمنة الإسلام، محاولات تبذل لتجديد هذا الخطاب، وتخليص الإسلام من مأزقه الراهن الذي نتج عن ربطه بالإرهاب من جانب الغرب ».

ثم يقول : « فتبدوا الوسطية كأنها جهد تجميلي للإسلام بعد أن تم تشويه صورته».

وبناء على هذا الطرح– **الغريب** – يعرف ذهاني نسيرة الوسطية قائلا:« في ظل هذه الحالة الضبابية وعلى ضوء الاهتمام الملحوظ بالترويج لمفهوم الوسطية في الوقت الراهن، لا نملك طريقا للتعريف به إلا من خلال مفهوم المخالفة في القانون، أي الإشارة إلى أنه عكس ما في الفكر الإسلامي من تشدد وغلو ».

ويشير أصحاب هذا الطرح إلى أن الحديث عن الوسطية في الإسلام ما أصبح حديث الساعة إلا بعد أن فُرض على المسلمين تغيير مناهجهم، بدليل القيام بحساب عدد خطب الجمعة التي تتحدث عن الوسطية في الحرم- مثلا- قبل 11 سبتمبر، وبعده، وكذا إنشاء المركز العالمي للوسطية.

بيان مفهوم الوسطية:

1- في اللغة :

قال ابن فارس (وَسَط) الواو والسين والطاء، بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء، أوسطه ووسطه.(4)

وفرقت بعض المعاجم بين كلمة وسَط {بالتحريك } ووسْط {بالسكون} فقالوا أن كل موضع يصلح فيه (بين) فهو بالسكون، وما لا يصلح فيه (بين) فهو بالفتح، وقيل كل منهما يقع موضع الآخر.(5)

- وتأتي وسط – بالفتح- اسما لما بين طرفي الشيء وهو منه، ومن ذلك قولهم: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس.

- وتأتي معنى خيار وأفضل وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره، فواسطة القلادة الجوهر الذي وسطها وهو أجودها.(6)

- وتأتي وسط بمعنى العدل، قال الفيروز آبادي: الوسط {محركة } من كل شيء: أعدله.(7)

أما القول بأن الوسطية لا دلالة فيها على عدم التطرف والغلو فإن المفسرين ذهبوا إلى أن الوسطية لا تخرج عن معنيين، يؤديان معنى واحد.

الأول: ((وسطا)) خيارا عدولا.

وهو قول جمهور المفسرين، وهو ما رجحه ابن جرير وابن كثير.

الثاني: أنهم وسط بين الإفراط والتفريط. وهذه مجموعة من أقوالهم:

– قال القرطبي :« ووسط الوادي خير موضع فيه وأكثره كلا وماء، ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا ».[8]

– يقول الإمام الشاطبي :« إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا ».[9]

– ويقول الإمام العز بن عبد السلام :« وعلى الجملة، فالأولى بالمرء أن لا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة أو درأ مفسدة مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير ».[10]

– ويقول ابن القيم:« ما من أمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى غلو وإما لتقصير، والحق وسط بين ذلك ».[11]

قال الشيخ بن عاشور وهو يفسر قوله تعالى ﴿ وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

"والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به، ليس هو إلا بعضها أقرب منه إلى بعض عرفا، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به، أخذ فيه معنى الصيانة والعزة طبعا. كوسط المملكة يجعل محل قاعدتها، ووسط المدينة يجعل محل قصبتها لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكوسط العقد لأنفس لؤلؤة فيه.

فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفا، فأطلقوه على الخيار النفيس كناية".[12]

قال زهير:

هـم وسـط يرضـى الأنـام بحكمهـم

إذا نـزلت إحـدى اللـيـالي بمعضـل.

إن الوسطيـة ترد في مقابلة الغلـو المذمـوم، الذي تعـددت الأدلـة في ذمـه.

ذلك أن الغلـو كما يعـرفه الإمام الجصاص هـو: (مجاوزة الحد)).

وعل كثـرة الأدلة الـواردة في محل النهي عن الغلـو في الدين نذكـر قوله تعـالى لمن سبقـنا من الأمـم: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغلو في دِينِكُم غير الحق ﴾.[13]

– حديـث ابن عـباس رضـي الله عنهمـا قـال : « قـال لي رسول الله ﷺ غـداة جمـع (المزدلفة): ﴿ هلـم ألقـط لي الحصـى ﴾ فلقطت له حصيـات من حصـى الخـذف فلما وضعـهن في يده قـال ﴿ نعـم، بأمثـال هؤلاء وإياكـم والغلـو في الـدين، فإنمـا أهـلك مـن كان قبلكم الغلو الدين﴾.[14]

– قال ﷺ : ﴿ هلـك المتنطعـون ﴾ قالهـا ثلاثـا. [15]

والمتنطعـون هم المغالون المجاوزون الحدود فـي أقـوالهم وأفعـالهـم، قـال النـووي فـي شـرح مـسلم: « إذا اصطلـح علـى أن تـرك هـذا الغلـو وسطيـة فإنـه قيل "لا مشاحة في الاصطلاح" ».[16]

و إذا حدثت أحداث ووجهت أصابع الاتهام للمسلمين –بغض النظر عن المخططين لها و المنفـذين – فهـل ثمـة مانـع شـرعي من أن يكون ذلك سببـا في أن يشخص المسلمون بعض أدورهم ((التي بدت أعراضها))؟ ثم يحـاول الحذاق من أطبائـهم في وصف الدواء، و التوجيه إلى العلاج .

استعمالات الكلمة في القرآن الكريم:

وردت الكلمة في القرآن الكريم بعدة تصاريف، فجاءت بلفظ وسطا، والوسطى، وأوسط، وأوسطهم، وفوسطن، وهذه هي المعاني التي سبقت فيها الكلمة:

- وسطا: وذلك في قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

وقد فسرها المفسرون بعدة معاني أبرزها:

- **العدل:** فجعلناكم أمة وسطا بمعنى " عدولا"، وهو رأي الطبري، ورأى ابن كثير أن معناها هنا هو الخيار والأجود[17]، ورأى صاحب المنار أنها هنا بمعنى العدل والخيار . [18]

- **الوسطى:** وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾.[19]

قال الإمام ابن الجوزي للعلماء في المراد بالصلاة الوسطى ثلاثة أقوال: [20]

- أحدها: أنها أوسط الصلوات محلا.
- والثاني: أوسطها مقدارا.
- والثالث: أفضلها.

فإن قلنا أن الوسطى بمعنى الفضلى، جاز أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها، وإن قلنا أوسطها مقدارا فهي المغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان وأكثرها أربعا.

وإن قلنا أنها أوسطها محلا فللقائلين أنها العصر أن يقولوا:« قبلها صلاتان في النهار وبعدها صلاتان في الليل فهي الوسطى، وهو مذهب الطبري ».

وقال عكرمة، أنها الفجر لأنها تتوسط الليل والنهار، وقيل الظهر لأنها وسط النهار وهو قول الأنباري .

- أوسط : كما في قوله تعلى :﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ .[21]

وللعلماء فيه قولان :[22]

أحدهما: من أوسطه في القدر، وهو قول عمر وعلي وابن عباس ومجاهد.

الثاني: من أوسط أجناس الطعام، وهو قول بن عمر والأسود وعبيدة والحسن وابن سيرين.

- فوسطن:كما في قوله تعالى ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [23] وهي عند المفسرين بمعنى التوسط في المكان.[24]

- أوسطهم : كما في قوله تعالى﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾[25] قال ابن عباس: « أوسطهم أعدلهم»[26] وبه قال مجاهد وسعيد والضحاك، وهو اختيار القرطبي وقال قتادة أي أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم فزعا وأحسنهم رجعة .

1- في الشرع:

إن الوسطية مبدأ إسلامي، و حالة صحية، يمكن تعريفها بانها:

خصيصة من خصائص الإسلام، نعني بها التعادل بين طرفين متقابلين أو متصلين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، تحقق الأمة بها العدل، و يتحقق لها بها الشرف والخير.

أو هي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم.

مظاهر الوسطية:

حاولت الوقوف على مظاهر الوسطية وأبعادها - من خلال ما كتب في الموضوع من كتب ومقالات، وما ألقي من محاضرات وخطب- فوجدت أغلب من كتب أو قال في الموضوع: كالشيخ القرضاوي في كتابه (كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها) وكذا في كتابه (الخصائص العامة للإسلام)، و(الوسطية في القرآن) للصلابي و(الوسطية في الإسلام) للفرفور، و(وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري) وغيرهم كثير نذكر منهم الشيخ محمد الغزالي والشيخ الشعراوي والدكتور أحمد هاشم رئيس جامعة الأزهر سابقا، وخطيب الحرم الدكتور عبد الرحمن السديسي في خطبة جمعة عنوانها "الوسطية ".

يذكرون أن الوسطية استغرقت جميع جوانب الدين والدنيا في العقيدة، والشريعة والأخلاق، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وإذا أردنا تصنيف تلك المظاهر تبعا لمحاولة معالجة حالات الانحراف الناجمة عن الغلو والتطرف، سعيا لتحقيق الهدف من معالجة موضوع الوسطية فإنه يمكن تقسيمها إلى:

- الوسطية في منهج المعرفة (منهج الاستدلال والاستنباط).
- الوسطية بين العلم والعمل(الفقه والتصوف).

- الوسطيـــة فـــي مجـــال الحيـــاة الاجتماعيـــة.
- الوسطيـــة فـــي التعامـــل مـــع الغـــير.

1- الوسطية في منهج المعرفة(منهج الاستدلال والاستنباط):

المراد : المـــوازنـــة بـــين العـــقل والنقـــل .

1- في العقيدة:

من مميـزات المنـهج الإسلامي في الفهـم والتنزيل، أنه منهـج وسط فهـو يُعمل النص الشرعي ويعتمد عليه، ولكنـه لا يغفل أداة الإدراك الكـبرى، ألا وهـي العقل فتجـده يعملها في فهـم النص الشرعي وفي تنزيله عـلى واقـع الأمة، فهو وسـط بيْن من يُلغـون العقـل في مواجـهة النص الشرعـي، وكأنهم يرفعون شعار الكنيسة " دع عقلك خارج الكنيسة واتبعني"[27]، فلا مجال مع هذا الفريـق في محاولة فهم النص على غـير ظاهـره، وبيْن من يطلقـون العنـان لعقـولهم في الفهـم والاستـنباط حتى يصـل الأمر إلى حد إعـطاء هذا العقـل سلطـانا على الشـرع.

ان الإخـــلال بهذه الخصـيصة هو الذي جـعل الأمة من خلال اجـتهاد أفرادها تنتـج فكرا غريبا عن روح هـذا الدين، وظـهرت المغالاة في صـور وألوان شتـى، وظهـر فريق من الناس عـمد إلى تكـفير وتضليل جمهـور عريض من الأمـة، وذلك لخلل واضـح في منهـج الفهم والتـنزيل، فقدْ وقـف فريق على ظواهـر النصوص ورفـض كل محاولة لفهـم ما وراء النص ، و أطـلق فريق اخـر العنان للعقل فتـجاوز النص و طوعـه ليتسجم مع مقالاته، فدخـل دائرة الغلو من أوسـع أبوابها .

وقـد حمل كل فريـق على صاحبه حملة شعـواء ،و أعلنـها حـربا جاءت علـى إيمـان جماهير الأمـة، فجعلتـه هـباءا بل لم تسْلـم قيم الأمة العلميـة من هذا التشـويه المرفوض .

و في هذا المعـني يقول الشيخ محمد الغـزالي: « وقـد اتفق المسلمون سلفـهم وخلفـهم على ذلك، ولكن اختلـفت مناهجـهم في التنزيه والتمجيـد... حتى يقـول : وكنت أود لو كفّ المسلمون الأوائل عن خـوض معارك الجـدل في المـوضوع، أو لو اسـتبان بعضهـم وجـهة نظر الآخر بدقة.... وأنا شخصيا أؤثر مذهـب السلف، وأرفـض أن يشتغـل العقل الإسـلامي بالبحـث المضني فيمَا وراء المادة، وارتضـي قبول الآيات والأحاديث التي تتضـمن أوصافا لله جـل شانه دون تأويل...

ولئـن كنا نسـلك هذا المسلك في تقـديس الذات ونسـبة الصـفات، فإننـا لا نحـب أن نتخذ منـه ذريعـة لتكـفير من قصـدوا إلى تنـزيه الله عـن طـريق التـأويل، وصـرف الآثـار الـواردة إلى المجاز لا إلى الحقـيقة». (28)

2- في الأحكام الشرعية العملية:

لقد أنتـج الجهد المتـميز لعلماء الأمـة، وهم يحاولون فهم فلسفة التشريع الإسـلامي، ويرسمون لها آفـاق التحدي، لتسع الزمان والمكان كله، جمـلة من القـواعد الأصـولية، وإذا لم تكـن جميعها محل اتفاق فإنها نتاج فكـري واجتـهاد مبني بالنظـر إلى نصـوص وكليـات، والوسطيـة هنا تقضي ألا يحجر على أصحابها حين ينظـرون من خلالها إلى النـص المقدس، كالعـمل بالمفهـوم، وفهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصـدها وما ينتج عـن ذلك من خـلاف إذا لم تراع الوسطيـة بهذا المفـهوم، فقد اتهم أناس بعـدائهم للنـص، وبانحرافهـم عن الدين وذلك مرض وهوى.

والأمثلـة في هذا المقـام كثيـرة ومتعـددة، نذكـر منها مايلـي:

المثال الأول: لقد حذر النبي ﷺ من جر الثوب، وجعل حده الكعبين فما زاد على ذلك فاعتداء محرم، توعد الله سبحانه وتعالى من يأتيه بالعقوبة، فقد جاء في الحديث الشريف ﴿ ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو في النار﴾ [29] وقد حمل فريق من الأئمة والعلماء هذا الحديث على إطلاقه، وقالوا بأن إسبال الثوب حرام، وذهب فريق آخر إلى أن الحديث مقيد بكون هذا الإسبال ناتج عن خيلاء، وهو ما رجحه الإمام النووي وابن حجر وغيرهما، ودليلهم في ذلك ما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال ﴿ من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي ﷺ ﴿ لست ممن يصنعه خيلاء ﴾. [30]

1- المثال الثاني:

لقد ورد حديث ينهى فيه النبي ﷺ عن دخول المقابر بالنعال، روى ذلك بشير بن الخصاصية قال : « بينما أنا أماشي رسول ﷺ إذا رجل يمشي في القبور وعليه نعلان فقال :﴿ يا صاحب السبتيتين ألق سبتيتيك ﴾ فنظر الرجل، فلما عرف أنه رسول الله ﷺ ، خلعهما فرمى بهما ». [31]

- فحمل بعض الناس هذا الحديث على عمومه وقالوا : بوجوب نزع الحذاء قبل الدخول للمقابر.

وذهب فريق من العلماء إلى جواز السير بالنعال في المقابر لحديث أنس أن النبي ﷺ قال :﴿ إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه صاحبه وإنه ليسمع قرع نعالهم ﴾. [32]

وتأولوا الحديث السابق بأن النهي كان لعلة، فقيل رُبما أصابت الرجل نجاسة، وقيل كانتا لباس فخر، وقيل غير هذا.

2- الوسطيـة بين العلم والعمل (الفقه والتصوف).

لقـد دعا الإسـلام أتباعه إلى العلم وحببـه إليهم وجعلـه مدرجًا يرتقـون به في سلم التكريم الإلهي، ومنّة عظيـمة لا تُسـاقُ إلا لمن أراد الله تعالى بهـم خيرًا، ومـع هذه الدعوة للتعلم والتحصيل دعاهـم إلى تـنزيل هذه المعارف إلى واقعـهم، وبخاصة تلك التي تترجم الخشية من الله بحاه وتعالى، وتزكـو بها النفـس البشرية وتطمئـن.

لم يقبل الإسلام من المؤمـنين الطاعة إلا بعـد العلم، حتى لا يتـصيد الشيطـان المـتربص صاحبها، فيلبـس عليه أمره ﴿فاعلـم أنه لا اله إلا الله واستغفـر لذنبك﴾ [33] فقد سـبق العلم والعمل، ولكنه بالمقابل لم يرض من المتعلـمين بلادة الشـعور، وغياب حس الإيمان، فإذا وقـف العالم في ساحة الإيمان خشبة مسـندة وبيتا خربًا من الداخل، تأسـفت السماء على قول بلا عـمل، وكبُر مصـاب الأمة في مثل هـؤلاء، ومع الأسـف عجت الأوطان الإسلامـية بأمثالهم، وقـلّ في الناس اجتماعيما.

يقول الشـيخ محمد الغزالي وهـو يحكي صـورة قاتمـة لهذا الانفصام: « في مجال العلم الديني رأيـت أناسا متحجـرين في المنقول والمعقـول، بهـم فقه واسـع ومحفـوظات كثيرة، لكن قلوبهم يشينها جفـاف بالغ، تولى أحـدهم القضـاء وقدمت إليه امـرأة متهمة بالزنا، فمازال يسترجها ويمكر بها حتى اعترفـت له، وحكم برجمـها لأنها متـزوجة!

قلت: هذا منهج يهـودي، فإن رسول الله ﷺ كان يرشـد المتهم ليفـر من العقاب ويتراجع عن إقراره، ويتحايل عليه لينصرف امنا، أما هذا القاضي فانه احتال على المذنـب ليقتله، وليس هذا من أسلـوب الإسلام، والعلة أن جانبا اخر من الثـقافة الإسلامية لم يصلح قلب الرجل فبقـي معتلا ولو ألف علم القلوب، وذاق الجانب العاطفـي من الإسلام لستـر وغفر، يستـره الله ويـغفر له ».[34]

3- الوسطية في مجال الحياة الاجتماعية.

تظهر فضيلة الوسطية في هذا الدين في جملة من التوجهات الاجتماعية، فقد أمكن في ظل الشريعة الخاتمة وضع أسس حياة اجتماعية متوازنة، لا إفراط فيها ولا تفريط، وهي أسس استجابت للفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، قضى بوجوب مراعاتها في إطار ضوابط الشريعة ومبادئها، دون أن يكون في ذلك إخلال بالحقوق العامة للمجموعة الإسلامية.

وإذا جئنا لنمثل لبعض ذلك فسنجد دائرة التمثيل واسعة لا متناهية، ولعل من أبرز ذلك مايلي:

- لقد جبلت النفس البشرية على حب المال وحب التملك، قال تعالى ﴿وإنّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد﴾[35] ويقول سبحانه ﴿وتُحِبُّون المَالَ حُبًا جَمًا﴾[36] ومع أن أي إنسان في الوجود يحس هذه الرغبة الجامحة في التملك، فإن بعض الفلسفات والنظم حرمته من الملكية! زاعمة أن الشعب هو المالك لكل شيء، وهكذا اضطربت النفس البشرية والحياة الاجتماعية، ولم يلبث هذا الفكر البشري إلا قليلا ورحل من عالم الناس، لأنه صادم الفطرة البشرية، على النقيض من هذا النظام أطلق النظام الرأسمالي يد أصحاب الأموال في الملكية، ومكنهم من تملك كل شيء، فطغى الفرد على الجماعة.

وهكذا عرفت البشرية هذا الصراع بين الفرد والجماعة، أيهما يقدم؟ وأيهما الأصل؟ فطغت نزعة الجماعة في النظام الاشتراكي وطغت النزعة الفردية في النظام الرأسمالي.

وجاء الإسلام بالحل العدل الوسط، كيف لا وهو دين الفطرة، فقضى بحق الفرد في التملك كما الجماعة، غير أنه لا يجوز أن يطغى الفرد على حساب المجتمع، ولا يحيف المجتمع من أجل الفرد، لا يذل الفرد

بكثرة الحقوق التي تمنح له، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التي تلقى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات في حدود وسعه، دون حرج ولا إعنات، ويقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته ويلبي حاجاته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته.

4- الوسطية في التعامل مع الغير.

إن الطبيعة الاجتماعية للإنسان جعلته في اتصال دائم مع الآخر، ومن هنا كان لزاما وضع قواعد تضبط مختلف هذه العلاقات وسواء في ذلك أكان هذا الآخر موافقا لنا أو مخالفا، فقد أقيمت هذه العلاقات بميزان دقيق أحق الحقوق وأوجب الواجبات، ويمكننا أن نتتبع مسار الوسطية الإسلامية في هذه المسألة من خلال مايلي:

-التعامل مع الموافق:

ونعني بالموافق هنا المسلم الذي يقيم شعائر الدين ويحل الحلال ويحرم الحرام، ومثل هذا الإنسان أمرنا بأن نترفق به ونحسن إليه وننصره، لأن موالاته واجبة قال تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[37] فلا ظلم، ولا حيف، ولا احتقار، ولا إسلام للغير، ويحدد النبي ﷺ بدقة طبيعة هذه العلاقة فيقول:﴿ انصر أخاك ظالما أو مظلوما ﴾ فقالوا : يا رسول الله ننصره إن كان مظلوما فإن كان ظالما كيف ننصره ؟ قال:﴿ تأخذ على يده ﴾ [38] فإمساك المؤمن عن الشر بالنصح والتوجيه نصر له، لأن ذلك غلبة للشيطان.

إن أخوة الدين ورباط العقيدة على قدسيته وأهميته لا يمكنه أن يجعل المؤمنين يزيفون الحقائق أو يشهدون الزور، فالحق أحق أن يتبع، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

- التعامل مع المخالف:

وهذا المخالف، هو ذلك الذي نختلف معه إمّا في المعتقد بأن يكون كافرا، أو لا نقره على ما هو عليه من عصية وفجور، وهو الفاسق، وقد رسمت الشريعة الغراء منهجها العادل في التعامل مع هؤلاء المخالفين.

الكافر: إذا كان هذا المخالف كافرا فإننا نفرق بين لونين من الكفار، وبين أسلوبين في التعامل .

- فإذا كان كافرا محاربا بيننا وبينه حَرْبٌ، فإننا نعامله بجنس معاملته، مع مُرَاعاة أحكام الحرب في الإسلام ﴿ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾.[39]

أما إن كان هذا الكافر مواطنا من مواطني الدولة، بأن كان من أهل الكتاب، أو كان شخصا بيننا وبينه أمان أو عهد وميثاق، فإننا مطالبون بحفظ عهودنا والإحسان إليهم ما أحسنوا، بل نملك أن نبادرهم بالمبرات والإحسان، تأليفا لقلوبهم ودعوة لهذا الدين قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.[40]

ولما جاءت امرأة مسلمة تستشير النبي ﷺ في إمكانية زيارة أمها وهي على دين الكفر، جاء الرد سريعا وحاسما ﴿صلي أمك﴾.[41]

إن الإسلام يَضَع الموازين القسط وهو يتعامل مع الآخرين حتى ولَوْ كانوا على غير ملتنا، فأهل الكتاب ليسوا سواء، فمنهم الأمين الصَّادق،وفيهم الكذاب الأشر، وهذا منطق تفتقر إليه ثقافات أخرى،

تنطلق من مقدمات باطلة لتهلك الحرث والنسل، وتفسد في الأرض بعد إصلاحها: ﴿ قالوا ليس علينا في الأميين سبيلا ﴾.[42]

وينسب هذا الإفك إلى العدل قيوم السموات والأرض، ألا ساء ما يحكمون!!

الفاسق:

إذا كان هذا المخالف فاسقا، فالواجب أن نبين له خطأه، ونحاول أن نرد عليه عافيته، لأن الشيطان هزمه فاستزله، وما أعظم التوجيه النبوي حين سمع تقريعا موجعا من أصحابه في حق مخطئ : ﴿ لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم ﴾.[43]

فالمعصية في عرف الشرع ليست قدرا محتوما لا يدفع، فقد يتحلل منها صاحبها، ويخرج منها نقيا طاهرا إلى عالم الفضيلة: ﴿ كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ﴾.[44]

وقد ترتكب المعصية بالجارحة ويسلم القلب من درنها، فمتى ما أقلع تهيأت نفسه لأنوار الفضيلة في رحاب الإيمان، ألم يشهد النبي ﷺ لمن تعود شرب الخمر بأنه يحب الله ورسوله!

ورحم الله ابن عطاء الله وهو يشير إلى معنى بليغ في إحدى حكمه " رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عجبا واستكبارا".

وفي الختام نقول أن الوسطية في هذا الدين هي سمته البارزة، وعنوانه الأظهر، وكان حريا بأمة محمد ﷺ أن تنشر هذه القيم في الوجود حتى تصبح قيما إنسانية، ولكن يد التشويه الماكرة تخيرت من أخطائنا أفدحها، ومن سقطاتنا التاريخية أسوأها، فصورت الدين تعصبا مقيتا، وممارسة كالحة، وأفقا أسودا، وقيد القصور الطاغي الأمة المكلومة فلم

تحصن الذود عن دينها ، فهل ستملك في مستقبلها القريب أو البعيد أن ترفع عنه الضيم وتنشر الحق والخير؟!

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي المكتبة العصرية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م.

1- الأدب المفرد. محمد إسماعيل البخاري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1409هـ-1989م.

2- الإسلام في قفص الاتهام شوقي أبو خليل دار الفكر دمشق سوريا، ودار الفكر الجزائر، 1412هـ-1992م.

3- أهل الذمة. ابن القيم محمد بن أبي بكر مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الأولى

التحرير والتنوير. ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.

3- الترغيب و الترهيب. المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ.

4- تفسير ابن كثير. ابن كثير دار الأندلس، الطبعة الثالثة، 1401هـ-1981م.

5- التفسير الكبير. الفخر الرازي دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.

6- جامع الأصول من أحاديث الرسول. ابن الأثير أبو السعادات الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ-1980م.

7- جامع البيان في تأويل أي القرآن. محمد بن جرير الطبري دار الفكر، بيروت، 1405هـ-1984م

8- الجامع الصحيح. البخاري محمد ابن إسماعيل تحقيق د:مصطفى ديب البغى، دار ابن الكثير اليمامة.

9- الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج القشيري دار ابن حزم ومكتبة المعارف.

10- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود الآلوسي تحقيق محمد حسين الحرب، دار الفكر، 1414هـ-1994م.

11- السنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر

12- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر.

13- سنن الترميذي محمد ابن عيسى تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار الفكر.

14- السنن عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.

15- السنن الكبرى النسائي أحمد بن شعيب، تحقيق د: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ-1991م.

16- شعب الإيمان أبو بكر البيهقي تحقيق محمد العيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ

17- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ-1986م.

18- في ظـــلال القـــرآن سيد قطب دار الشروق، الطبعة السادســـة عشر،1410 هـــ-1990م.

19- المعجـــم الأوســـــط أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني دار الحرمين، القاهرة، 1415هـــ.

20- مجمـــــع الزوائـــد ومنبـــع الفوائـــــد دار الكتـــــاب العربي بيـــروت، لبنان، الطبعـــة الثالثة، 1402هـــ-1982م.

23- مجمـــوع الفـــــتاوى أحمد بن تيمية، تحقيق حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1386هـــ .

24- المسنـــــد أحمـــد بن حنبـــل مؤسســـة قرطبـــة، مصـــر.

25- الإنكار في مسائل الاجتهاد الدكتور قطب مصطفى ســـانو، دار ابن حزم، الطبعـــة الأولى 1427هـــ-2006م.

26- الوسطيـــة في ضـــوء القرآن الكـــريم ناصـــر بن سليمـــان العمـــر، مصـــدر الكتاب، موقـــع الإســـلام http://www.aL.islam.com.

27- حكم الإنكار في مسائـــل الخلاف. الدكتـــور فضـــل الهي، - مكتبـــة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية 1420هـــ.

28- الوسطية في الفكر الإسلامي د.مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 1425هـــ-2004م.

29- عقيـــدة المسلـــم محمـــد الغزالي، دار الدعـــوة، مصـــر، الطبعـــة السادسة 1420هـــ-1999م .

الهوامش

1- موقـــع النهى http//:www. alnoha.net .
2- ســـورة البقـــرة، الآيـــة:143.
3- مقـــال مراجعـــات (11سبتمبر) يرات تيـــار الوسطيـــة الإسلامـــية مجـــلة الريـــاض، 4- العـــدد 12954، 6شوال 1424هـــ ديسمبر 2003م.

5- انظـــر: معجـم مقاييـس اللغـة ، مـــادة وســـط ، ج6، ص 108.
6- مختار الصحاح، مادة وسط 720 ، غريب الحديث ، لابن الأثير ج5 ص183.
7- معجـم مقاييس اللغـة، مـادة وسـط ج6، ص 109.
8- لسـان العـرب، مـادة وســط ج7، ص 427-430.
9- الجـامع لأحكـام القـــرآن ،ج2، ص 154.
10- الموافقـات،ج3، ص 123.
انظـر: المصلحـة العامـة بين الشـرع والفقـه والسياسة د/فـوزي خـــليل، موقـــع إســـلام اون لايـن http//:www.islam. online.
11-انظـر جذور الغلو- عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي- شبكة المعالي http//:www.maali .net .
12- التحـرير والتنـوير ، ج 2 ، ص17.
13- ســـورة المائـــدة /الآيـــة : 77.
14- صحيـح ابن حبان رقم 3871، ج9، ص 183، المختارة ، أبو عبد الله محمد المقدسي ،ج 10، ص 30.
السنن الكبرى ، البيهقي ج15، ص 127 ، سنن النسائي ج5، ص 268.
15- الجامـع الصحيح مسلم ، رقـم 2670، ج4 ، ص 2055، ابو داود ، رقم 4608 ، ج 4، ص 201.
16- شـــرح النـــووي على صحيـح مسلم ، ج 16، ص 220.
17- انظـر: تفســـير ابن كثيـــر ج1ص 263.
18- تفسير المنار ج2، ص 437.
19- سورة البقرة ، الآية : 238.
20- انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر http//.www.maali .com ص53
21- ســـورة المائـــدة ، الآية 89.
22- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر ص14
23- ســـورة العاديات الآيـــة :05.
24- تفسير القرطـبي ج30، ص276.
25- سورة القلـم الآيـة :28.
26- الوسطية في ضوء القرآن /ناصر بن سليمان العمر ص25.
27- هذا شعار حملته الكنيسة قديما ، ويعنون به مطلق التسليم.
28- عقيدة المسلم ص: 49.
29- البخاري الجامع الصحيح كتاب اللباس- باب ما أسفل من الكعبين في النار ص(5450)، جزء 5 ص| 2182
30- البخاري الجامع ، الجامع الصحيح، فضائل أبي بكر الصديق، باب - من جر ثوبه خيلاء، 5447، ج05ص 2181.
31- صحيح ابن حبان، ذكر الزجر عن دخول المقابر بالنعـال، ص(3170)، ج7، ص(442).
32- الجامع الصحيـح ، مسلـم، رقم (2870)، رقـم2870، ج 2200/4 قـرع نعالهـم.
33- سورة محمد الآية : 19.
34- عقيدة المسلم، ص 121.
35- سورة العاديات الآية 80.
36- الفجـــر الآيـــة 08.
37- ســـورة التوبـــة الآية 71.
38- السنن الكبرى، البيهقي ج06 ص(94) مسند أبي يحي الجزء 06
39- ســـورة البقـرة الآية 191.
40- ســـورة الممتحنة الآية 8-9.
41- الجامع الصحيح رقم 1003 ج02 ،ص (924) .
42 سـورة آل عمران الآية 75.
43- المسند أحمد 4168 ج01، ص(438) .
44- مصنف ابن أبي شيبة .34216 ج 07، ص(92)